



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية



مجلة الفلسفة

العدد ٣٢ كانون الأول ٢٠٢٥

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
تعنى بنشر البحوث في مجالات الفلسفة المختلفة
وما له صلة بها في العلوم الإنسانية الأخرى

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

DOI: 10.35284 المعرف الدولي ISSN: 1136-1992 الترخيم الدولي

تحولات المفاهيم الفيزيائية وأثرها على إشكالية الحرية في فلسفة العلم المعاصر

الضرورة الصارمة والحرية المقننة قراءة في إشكالية تصور الرواقية للفعل البشري

التربية الأخلاقية من منظور إميل دوركهايم

قيم العقل العملي عند سبينوزا

تحولات فلسفة المراقبة من (مجتمع الانضباط) عند ميشيل فوكو
الى (مجتمع التحكم) عند زيجمونت باومان

مشروعية الإيمان الفلسفي عند كارل ياسبرز - جدلية العقل والوجود

مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس

اللا شعورية الرمزية في البنيوية اللغوية

اكسيل هونيث وبول ريكور جدلية الاعتراف بين الذات والآخر

إشكالية الهوية في الفكر العربي المعاصر - علي حرب أنموذجاً -

مجلة الفلسفة

العدد ٣٢

كانون الأول ٢٠٢٥



Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Mustansiriyah University



PHILOSOPHY Journal

No. 32 December 2025

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY
CONCERNED WITH PUBLISHING RESEARCHES IN VARIOUS
FIELDS OF PHILOSOPHY AND WHAT IS RELATED TO IT IN
OTHER HUMAN SCIENCES

ISSN: 1136-1992

DOI: 10.35284

Transformations of physical concepts and their impact on the problem
of freedom in contemporary philosophy of science

Strict Necessity and Regulated Freedom A Reading of the
Problematic of the Stoic Conception of Human Action

Moral Education from the Perspective of Émile Durkheim

The Ethical Values in Spinoza's Thought

"The transformation of the philosophy of surveillance from Michel Foucault's
"society of discipline" to Zygmunt Bauman's "society of control"

The legitimacy of philosophical faith according to Karl
Jaspers - the dialectic of mind and existence

'The problem of Fatalism and Choice in William James

The Symbolic Unconscious in Structural Linguistics

Axel Honneth and Paul Ricouer the Dialectic
of Recognition between Self and other

The problem of identity in contemporary Arab thought: Ali Harb as a model

مجلة الفلسفة

مجلة محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على الترتيب الدولي (1992-1136) ISSN:

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم 1035284 prefix:

هيئة التحرير:

- رئيس التحرير: أ.د. حسون عليوي فندي السراي.

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الفلسفة.

- مدير التحرير: م.د. محمد محسن أبيش

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير:

- أ.د. مصطفى النشار كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر

- أ.د. اليمنى طريف الخولي كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر

- أ.د. خوان ريفيرا بالومينو (سان ماركوس - بيرو)

- أ.د. عفيف حيدر عثمان (الجامعة اللبنانية - لبنان)

- أ.د. إحسان علي شريعتي (كلية الأديان / جامعة طهران - إيران)

- أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية - مصر)

- أ.د. علي عبد الهادي المرهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)

- أ.د. صلاح فليفل عايد الجابري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

- أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي (كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)

- أ.د. إحسان علي الحيدري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

- أ.د. زيد عباس الكبيسي كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق

البريد الإلكتروني:

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

الترقيم الدولي (1992-1136) ISSN:

فهرست بدار الكتب والوثائق وايداعها تحت رقم (742) لسنة (2002)



العدد الثاني والثلاثون

كانون الأول

2025

مسؤول الدعم الفني

م.د. مؤيد جبار رسن

كلية الآداب / المستنصرية

الإشراف اللغوي

م.م. محمد محسن خلف

كلية الآداب / المستنصرية

إخراج وتنفيذ

م.م. شهد رحيم محمد

مسؤول الموقع الإلكتروني

م.د. أسماء جعفر فرج



PHILOSOPHY Journal

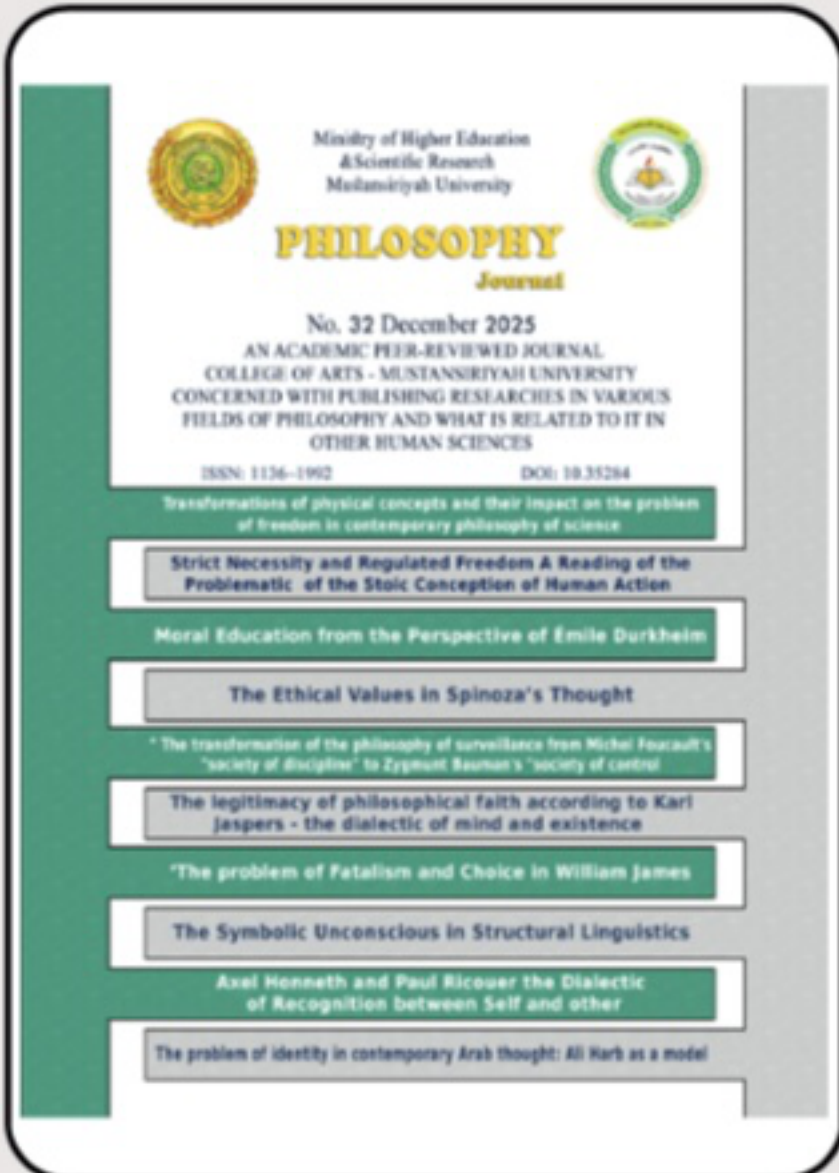
مجلة الفلسفة

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية وحاصلة على الرقم الدولي ISSN 1136-1992
تعنى بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية والفكرية العامة في مجالات الفلسفة المختلفة: مجال تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية والوسيطية - مسيحية وإسلامية، والحديثة والمعاصرة (الغربية) ، والفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر) ، ومجال الميتافيزيقا والتأويل، وفلسفة اللغة والدين والمعرفة والتاريخ

والجمال والفن والأدب والسياسة والقانون ، ومجال الموضوعات النظرية العامة الأخرى (الناظرة في: العقائد والعرفان والحضارة والمنهجيات المعرفية والبحثية) ، وأي موضوع ثقافي أو فكري يتضمن بعداً تنظيرياً حول الإنسان والهوية والزمان والحدث.

والنشر في المجلة باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية .

ومما تتوخاه المجلة - فضلاً عن خدماتها الأكاديمية المعروفة- ترصين الثقافة، ونشر الوعي النقدي البناء وفتح السبل أمام التقدم بالفكر والازدهار الحضاري المميز .



شروط النشر في مجلة الفلسفة التي تصدر عن كلية الاداب / الجامعة المستنصرية / العراق

وهي مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، تحمل الرقم الدولي (ISSN) 1136-1192. وحاصلة على المعرف الدولي (Doi) تحت رقم ٣٥٢٤٨-١٠. وتضم في هيئة تحريرها وعضويتها كبار المتخصصين بالفلسفة من العراق والعالم العربي ، ممن يحمل لقب الأستاذية .

- يجب ان يكون البحث المرسل للمجلة مكتوب بخط (simplefide Arabic) بحجم (١٤) للمتن و(١٢) للهامش ، ومنضدة على (CD) خاص.
- يرفق مع البحث المفاتيح الخاصة به .
- يرفق مع البحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عدد كلماته عن (١٥٠) كلمة ، ويوضع في بداية البحث بعد العنوان .
- يكون توثيق الهامش في داخل متن البحث بعد اخذ النص من المصدر أو المرجع ، وعلى وفق الآتي : (اسم المؤلف ، السنة ، الصفحة) ولا يكون التوثيق في آخر البحث .
- يكون التوثيق للمصدر أو المرجع في نهاية البحث وبخط مائل ، وعلى وفق الآتي : المؤلف (سنة النشر (، اسم الكتاب ، مكان النشر : الناشر .

نموذج تطبيقي : الجابري ، محمد عابد(٢٠٠٣) ، نقدالعقل العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة

العربية .

- يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر من قبل ، أو قبل للنشر في أي مجلة داخل العراق أو خارجه .
- يخضع البحث للتقويم السري والاستلال الالكتروني من قبل خبراء مختصين .
- البحوث المنشورة في الجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة .
- يدفع الباحث العراقي الذي يروم نشر بحثه في المجلة مبلغا قدره (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار عراقي ، ويدفع الباحث العربي او الاجنبي مبلغا قدره (\$١٠٠) مائة دولار امريكي .
- ترسل المجلة بعد صدور العدد نسخة بمثابة هدية للباحث ، وان طلب المزيد يدفع (١٠) آلاف عراقي عن كل نسخة .

المحتويات

| الصفحة | أسم الباحث | البحث |
|--|--|--|
| ٢-١ | رئيس التحرير | كلمة العدد |
| ❖ محور الفلسفة اليونانية والاسلامية | | |
| ٢٥-٣ | م. د مؤيد جبار رسن | ١ : الضرورة الصارمة و الحرية المقننة: قراءة في إشكالية تصور الرواقية للفعل البشري |
| ٥١_٢٦ | م.م سعده طعمة محسن | ٢ : الرؤية الإسلامية في خلق العالم |
| ❖ محور الفلسفة الحديثة والمعاصرة | | |
| ٨٢_٥٢ | أ.م.د.أكرم مطلق محمد | ١ : تحولات المفاهيم الفيزيائية واثرها على إشكالية الحرية في فلسفة العلم المعاصر |
| ١٠٤_٨٣ | أ.م.د نسرين خليل حسين | ٢ : التربية الأخلاقية من منظور إميل دوركهايم |
| ١٢٦_١٠٥ | أ.م.د علاء كاظم مسعود | ٣ : تحولات فلسفة المراقبة من (مجتمع الانضباط) عند ميشيل فوكو الى (مجتمع التحكم) عند زيجمونت باومان |
| ١٤٣-١٢٧ | م.د.د. إيناس صباح مهنا | ٤ : مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس |
| ١٦٠_١٤٤ | م.د مثنى ياسين صالح | ٥ : مشروعية الإيمان الفلسفي عند كارل ياسبرز : جدلية العقل والوجود |
| ١٨١_١٦١ | م. د. غصون عبد محمد | ٦ : اكسيل هونيث وبول ريكور جدلية الاعتراف بين الذات والآخر |
| ٢٠٢_١٨٢ | م.م. نوزاد عبدالله محمد | ٧ : اللا شعورية الرمزية في البنيوية اللغوية |
| ٢١٣_٢٠٣ | م. م عقيل عبد الله عزيز | ٨ : قيم العقل العملي عند سبينوزا |
| ❖ محور علم الكلام السلامي والفكر العربي المعاصر | | |
| ٢٢٥_٢١٤ | أ.م.د. عمر سعدي عباس | ١ : الفلسفة التطبيقية عند محمد محمود الكبيسي |
| ٢٤٤_٢٢٦ | م. د . حوراء عطا مغيطي | ٢ : إشكالية الهوية في الفكر العربي المعاصر: عليّ حرب أنموذجاً |
| ٢٧٧_٢٤٥ | م.د. غسان ياسين عكلو | ٣ : فلسفة الموت وأحكامه في الإسلام |
| ٣٠٧_٢٧٨ | م.م إخلاص جعفر محمد | ٤ : جدلية العقل والنص : دراسة كلامية |
| ٣٢١_٣٠٨ | م.م. فرح عبد الصاحب سلمان | ٥ : مفهوم الحرية عند مفكري الإمامية المعاصرين |
| ٤٤١_٣٢٢ | م.م. وسن صباح صالح | ٦ : شيوع ظاهرة التطرف الفكري في المجتمع الإسلامي: دراسة في منظور الفكري الاسلامي |
| ❖ محور الدراسات الاخرى | | |
| ٣٥٧_٤٤٢ | أ.م.د رؤى لؤي عبد الله | ١ : الانثروبولوجيا الرقمية والتصور الافتراضي للإنسان |
| ٣٧٢_٣٥٨ | م.م نورا محسن جاسم | ٢ : العولمة والغزو التكنولوجي للثقافات بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية |
| ٣٨٨_٣٧٣ | م.م. نور هاشم طه م.م. فتر ميسر سامر سمير سعد | ٣ : السؤال السقراطي وتوظيفاته في الإرشاد الفلسفي (الكوتشينج انموذجاً) |

| | | |
|---------|--|--|
| | | ❖ محور الدراسات باللغة الاجنبية |
| 389_406 | Assis. Prof.Najat Abdul Muttalib M.Jawad | 1: Additions & Deletions in Translation of Chapter Two of Carlyle's 'Heroes & Hero-Worship: Applying Venuti's Theory |
| 407_421 | Fatimaatulzahraa' Nasser Hasen | 3: Studying the Philosophy of the Consecutive Interpreter and the Obstacles of Consecutive Interpreting |
| 422_332 | Ahmed Chaker Ghani | 2: La conception de l'absurde et La logique de la quête de sens dans Le Mythe de Sisyphe de Camus |

في مطلع العام الجديد تطلّ مجلة الفلسفة في عددها الـ (٣٢) على القارئ الكريم ، سواء كان متخصصاً في مجالها ، أو مثقفاً عاماً — مُحباً للفكر والتنوّر ، بسياحة أخرى من فضاء الفكر الفلسفي المتنوع بثرائه والمختلف بعمقه ، وذلك بمجموعة منتقاة — هذه المرة — من الدراسات والبحوث الجادة والمُعَمَّقة التي لا يسعنا إلا الإطالة على البعض منها :

سيتعرف القارئ ، إبتداءً ، على شطر من النقاش الفلسفي المثير للتساؤل يبدأ من مقارنة إشكالية الحرية والضرورة في الطبيعة الإنسانية كما تجسدت في الفكر اليوناني — الرواقي بخاصة ؛ وهي إشكالية عامة ما تزال في قمة إهتمام الباحثين المعاصرين كما كانت في أفق الحداثة والتنوير .

وفي مقابل فحص إمكان الحرية وإشكالياتها في الفلسفة القديمة سيطلع القارئ على ذات الإشكالية ولكن من وجهة نظر إسلامية ، وبخاصة عند (مفكري الإمامية المعاصرين) وهم يشكلون الآن مدرسة كلامية تحاول أن توازن بين الاصالة الشرعية والواقع المعاصر .

وبما أن هذه المقاربة للحرية بعامة ، هي جزء من السعي لبيان ما للعقل وما للتراث — أو النقل — فقد رأينا أن تُعزّز ببحث يدور حول جدلية العقل والنص ، من وجهة نظر كلامية إسلامية بطبيعة الحال ، كما هو الحال عند المعتزلة الذين جعلوا العقل أصلاً في المعرفة (بحسب البحث) والحسن والقبح ، والاشاعرة الذين قصروا دور العقل على فهم النص دون فصله عن الشرع .

وبقدر ما لم تكن الفلسفة القديمة تفصل بين تصوراتها عن الكون والإنسان وبين النتائج التي وصلت إليها العلوم الطبيعية في عصرها ، فإن البحث عن إمكان الإقرار بالإرادة الحرة وفق مقاربات الفلسفة المعاصرة ، لم يعد يفصل بين هذا الإمكان والعلم المعاصر .

ومن هذا المنظور سيطلع القارئ على بحث يرصد إمكان هذه الحرية في ضوء تحولات المفاهيم الفيزيائية الكبرى (بدءاً من الميكانيكا الكلاسيكية وصولاً إلى النظرية النسبية وميكانيكا الكم) بغرض بيان كيف ساهم إنهيار التصورات المطلقة للزمان والمكان والكتلة في إعادة طرح مسألة الإرادة الحرة ضمن سياق علمي وفلسفي جديد .



واتساقاً مع فضاء هذه الإشكاليات المتعلقة بالإرادة الحرة بإزاء تحديات العلم المعاصر، ومكانة العقل الإنساني في المعرفة بإزاء النص والنقل ، نطالع مقارنة أخرى معاصرة تمعن النظر في جدلية (الاعتراف) بين الذات والآخر ، ودورها في تشكيل الهوية الفردية والاجتماعية كما طرحها فيلسوفان معاصران اصبحا معروفين بهذا الفضاء من البحث ، وهما : أكسيل هونيت وبول ريكور .

هذا إلماع لما ورد من موضوعات بحوث ودراسات هذا العدد ، ونأمل في أن يكون رافداً معرفياً لترسيخ الإعتقاد بجوهريّة العقل الإنساني في التكوين الحضاري وبحقيقة الحرية الإنسانية بل والدفاع عنها بوصفها حقاً مقدساً لا يجوز المساس به كما يقول فيلسوف النقد، وبالتالي فيلسوف الفلسفة (كانط).

رئيس التحرير



الرؤية الإسلامية في خلق العالم

م.م سعدة طعمة محسن علي

saada90@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم علوم القرآن

المخلص

من خلال تحليل النصوص الشرعية واستنباط الدلالات التي تُظهر انسجام الرؤية الإسلامية مع العقل والعلم، وتكاملها في تفسير نشأة الكون ونظامه وغايته.

الكلمات المفتاحية: الرؤية، الإسلام، الخلق، العالم

The Islamic vision of the creation of the world

Abstract

The question of the creation of the universe has preoccupied human thought throughout the ages. Humans have offered different interpretations of how the universe was created. These differences stem from the ideologies from which they emerged. Some are linked to natural material science, while others are linked to philosophers, each group according to its own perception. There is a comprehensive Islamic vision stemming from the oneness of God Almighty, which explains the creation of the universe. Islamic scholars derived the creation of the universe from the Qur'an and Sunnah. This research aims to explain this Islamic vision.

تُعدُّ مسألة خلق الكون من أقدم وأعمق القضايا التي شغلت الفكر الإنساني على مرّ العصور، إذ سعى الإنسان منذ وجوده إلى معرفة أصل الكون وكيفية نشأته، وتنوّعت التفسيرات التي قُدِّمت حول هذه المسألة تبعاً لاختلاف المذاهب الفكرية والاتجاهات الأيديولوجية، فهناك من فسّر نشأة الكون من منظورٍ علميٍّ ماديٍّ يعتمد على القوانين الطبيعية والنظريات الفيزيائية، في حين تناولها الفلاسفة من زاويةٍ عقليةٍ تأمليةٍ، كلٌّ بحسب تصوّره لطبيعة الوجود ومصدره، وفي مقابل تلك الرؤى المتعددة، جاءت الرؤية الإسلامية لتقدّم تصوّراً شاملاً ومتكاملاً عن خلق الكون، منطلقاً من مبدأ توحيد الله سبحانه وتعالى بوصفه الخالق المدبّر لكل شيء، حيث استنبط علماء الإسلام تفاصيل هذه الرؤية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مؤكدين أن الكون لم يخلق عبثاً، بل لحكمةٍ إلهيةٍ غائيةٍ ساميةٍ، ويهدف هذا البحث إلى توضيح التصور الإسلامي لخلق الكون، وبيان تفرّده عن التصورات الفلسفية والعلمية الأخرى،

Keywords: vision, Islam, world

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه ورسله الصادق الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين، ثم الرحمة الوافرة على خلفائهم وهم العلماء العظام الذين فضل الله مدادهم على دماء الشهداء، وجعلهم ورثة الأنبياء.

أما بعد :

لقد أرسل الله تعالى رسلاً، وأنزل كتبه، ليهدي الإنسان إلى النهج القويم الذي يضمن له الرقي في مجالات المعرفة والاجتماع والاقتصاد، وليجعل حياته قائمة على الكمال والسعادة، فأعظم ما في هذا الوجود هو الإنسان، وأجمل ما في الإنسان أنه كائن مفكر يمتلك قدرة على التأمل والتدبر.

فالكون كله، بما يحويه من كواكب ونجوم وأفلاك وشهب ونيازك وجبال وبحار ونبات وماء، يسبح بحمد الله، غير أنه لا يفكر، إذ خص بميزة واحدة هي التسبيح، أما الإنسان فقد جمع الله فيه ميزتين عظيمتين: التسبيح والتفكير، فصار بذلك سيد المخلوقات ومحل التكريم الإلهي. ومن أجل هذه المنزلة الرفيعة، سخر الله له ما في السماوات والأرض، ليكون

الكون كله في خدمته، ويكون هو المكلف بالتأمل في هذا الجمال الكوني الفريد. فهو يفكر في عظمة الخلق، وفي دقة النظام، وفي سعة الكون وبهائه، حتى يهتدي بعقله إلى خالقه، ويدرك أن وراء هذا الإعجاز خالقاً عظيماً أحكم صنعه وأبدع تكوينه. وهكذا، فإن الإنسان بتفكيره يصل إلى معرفة الحق، وب عقله يزداد إيماناً بعظمة الخالق، وبذلك تتحقق غاية الخلق: أن يعرف الإنسان ربه، ويسير في الحياة على بصيرة وعلم وهدى.

إن الله سبحانه أمتدح في كتابه الكريم أمرين: أمتدح بديع صنعه في هذا الكون إذ يقول تعالى: { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ } {٤} (الملك، الآيتان: ٤، ٣). فالله تعالى خلق السماوات والأرض بعضها فوق بعض بلا تفاوت اي بلا اختلاف وخلل (أبو جعفر الطبري ص٦٦) وكذلك امتدح الله سبحانه في كتابه الكريم الذين يتفكرون في خلق هذا الكون وذلك في الآيات من سورة آل عمران، يقول تعالى: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (سورة آل عمران/ الآية: ١٩١)، فإذا كانت آيات الغيب تقتضي الإيمان، وآيات القصص تقتضي العبرة، وآيات الأمر تقتضي

ولا وعود بآخرة. فلم يدعُ بوذا مثلاً أنه نبيّ أو رسول من السماء، بل كان معلماً يبحث في طبيعة الألم الإنساني وسبل تجاوزه. ثم جاءت الأديان التوحيدية لتقدم إجابة مختلفة وأكثر وضوحاً على السؤال ذاته، إذ قالت: خلقنا الله، وأنزلنا من السماء إلى الأرض. كانت هذه الإجابة مريحةً للروح، لأنها تُشبع الحاجة الفطرية إلى الغاية والمعنى، لكنها تركت العقل في مواجهة تساؤلات أخرى لا تقلّ عمقاً: لماذا خلقنا الله؟ ومتى حدث ذلك الخلق؟ ولماذا أهبط الإنسان من الجنة؟ ومن الذي خلق الخالق نفسه؟

ولم يتمكن اللاهوت — رغم محاولاته العديدة — من تقديم إجابات تُرضي العقل الإنساني وتُقنع منطقته، فكانت البداية الحقيقية للمغامرة الفلسفية في القرن الخامس قبل الميلاد، على أرض اليونان، حيث حاول المفكرون الأوائل أن يقدموا تفسيراً عقلياً لوجود الكون بعيداً عن الوحي والدين. وقد رأى الماديون منهم أن الكون نشأ بذاته، دون حاجة إلى قوة خارجية عنه تُحركه أو تُبدعه، ومن هنا تبلور في الفلسفة اليونانية مبحثٌ واسعٌ حول أصل الوجود وطبيعة الخلق، كان نواة التفكير الفلسفي في مسألة الوجود والكون.. (حسين الوادعي، جامعة اليمن). للإجابة عن تساؤلات الكون والوجود، سمّوه (الميتافيزيقيا) أو ما وراء الطبيعة، ومن خلاله أرادوا الإجابة على كل التساؤلات المتعلقة بالكون

الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك فماذا تقتضي آيات الكون التي تزيد في مجموعها عن ألف آية كريمة؟ إنها تقتضي التفكير بقدرة الخالق، وعظمة الخالق، ووحداية الخالق، وعبودية الخالق. يقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٢٠).

المطلب الأول: نظريات العلماء حول خلق العالم

منذ فجر البشرية، ومنذ اللحظة التي بدأ فيها الإنسان يتأمل المعاني المجردة، راح يسعى — عبر الدين والفلسفة — إلى الإجابة عن السؤال الأزلي: من أين جننا؟

وكانت الفن هو المغامرة الأولى في محاولة الإجابة عن هذا السؤال الكبير، إذ عبّر الإنسان القديم من خلال الأساطير والرموز والنقوش والمنحوتات عن تصورات الأولى للوجود والخلق. كانت تلك الفنون امتداداً للأديان البدائية التي جمعت بين المعتقد والخيال والتعبير الفني في نسيج واحد.

ثمّ، ومع بزوغ فجر المعلمين الكبار مثل بوذا وكونفوشيوس، بدأ الفن ينفصل تدريجياً عن الدين، وظهرت الأديان الشرقية الكبرى — كالبودية والكونفوشيوسية — التي تميّزت بغياب اللاهوت التقليدي؛ فلا آلهة فيها بالمعنى الإبراهيمي، ولا أنبياء،

لكن دارون الذي أجاب عن أصل الإنسان لم ينجح في الإجابة عن السؤال الأخطر: "أصل الكون". وكان على المسيرة البشرية أن تنتظر الى العقد الثامن من القرن العشرين لظهور النظرية النسبية على يد أنشتاين، ثم لظهور النظرية الكمومية على يد بوهر، ليصبح العلماء قادرين على تقديم إجابة علمية للسؤال الأبدي. بدأ العلماء يدركون أن الكون ليس ثابتاً ولكنه يتوسع باستمرار، وما دام الكون يتوسع والمجرات تتباعد عن بعضها كما وثق ذلك علماء الفلك، فهذا يعني أن العالم كان أصغر بكثير في الماضي، ولربما كان نقطة واحدة صغيرة.

هنا ظهرت نظرية "الانفجار الكبير" التي أجابت دون أن تقصد عن سؤال الخلق، فالكون خلق عبر انفجار ضخم جداً أدى الى تمدده بعد أن كان جزءاً واحداً في حالة حارة شديدة الكثافة. لم تجب النظرية على كيفية "خلق" العالم فقط، بل استطاعت أن تحدد الوقت الذي تم فيه خلق الكون. فما دام الكون يتوسع، فقد قاس العلماء نسبة التوسع والتباعد بين المجرات.

وعبر الاستقراء العكسي، قدر العلماء أن الوقت الذي كانت المسافة بين المجرات صفراً (بداية الكون) لن تقل حسب المعدل. تم قياس عمر الكون بوسيلة أخرى، عبر قياس الإشعاع الكوني الخلفي،

والإلوهية، وقد التقط الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمون الخيط من الفلسفة اليونانية، وكان أحد الاسئلة الساخنة: هل العالم القديم وأزلي أم مخلوق؟ فإذا قلنا إن العالم أزلي - الأزلي هو الذي له بداية - فهذا يعني أنه موجود مع وجود الإله الخالق، وهذا يتعارض مع وجود فكرة الوجدانية، إذن كيف يكون العالم أزلياً وفي نفس الوقت من خلق الله؟ وإذا قلنا أن العالم مخلوق، فمتى خُلِقَ ولماذا؟ وهل بقاؤه أبدي -الأبدي هو الذي لا نهاية له - نعم إن له نهاية. كانت الثورة الأكبر على يد دارون الذي أجاب إجابةً علميةً وهي إن عمر كوكب الأرض الذي تعيش عليه حوالي ٤ مليارات سنة، في بداية تكونه كان صخرة^(المصدر نفسه)

إن عمر كوكب الأرض الذي نعيش عليه حوالي ٤ مليارات سنة، في بداية تكونه كان صخرة نارية خالية من الحياة، لكن بعد حوالي ٤٠٠ مليون سنة من "ولادة" الأرض بدأت تتخلق أول الأشكال البدائية للإنسان في البكتريا أحادية الخلية. نستطيع القول أن البكتريا أحادية الخلية هي "آدم" الذي ستخرج منه كل الكائنات الحية الأخرى من حيوانات ونباتات وفطريات وطحالب وجراثيم.

الكمال، وأنها مكوّنة من مادةٍ أزليةٍ مقدّسة تختلف عن المواد الأرضية الأربع (التراب، والهواء، والنار، والماء)، وأطلق على تلك المادة اسم الأثير، باعتبارها أنقى وأسمى عناصر الوجود.

كما افترض أن كل نجم من النجوم الثابتة مرتبطٌ بكرةٍ بلورية شفافة تدور دورةً كاملةً في اليوم الواحد، وأن النجوم السبعة التي تُعرف بالكواكب — وهي: الشمس، وعطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل — تسبح في وسطٍ أثيريٍ نقيٍّ. أما العناصر الأرضية الأربعة، فإنها تقع تحت فلك القمر، وهي بتفاعلها تولّد الظواهر الجوية والكونية كالشهب والنيازك والمذنبات، التي تُعدّ من مظاهر العالم المتغيّر، في مقابل ثبات السماوات العلوية وكمالها.

إلا أن هذه النظرية انهارت جزئياً على يد الفلكي (كوبرنيكوس) فلقد استبدل الأرض بالشمس كمركز للكون وفسّر دوران النجوم الظاهري بدوران الأرض حول نفسها وأن كرات النجوم ثابتة وتقع خارج مدار زحل، وبذلك هو توسع في الكون بالمقارنة بكون أرسطو، وعند ظهور قوانين كبلر الثلاثة التي برهن فيها على أن للكواكب السيارة مدارات بيضوية تقع الشمس في إحدى بؤرتيها انتهت نظرية أرسطو نهائياً، وبعد اختراع غاليليو المرقب الفلكي الذي رصد فيه الشمس وأقمار

وهو الإشعاع المتبقي من الانفجار الكبير، والذي يمكن اكتشافه عبر "الفحيح" الذي تسجله موجات الراديو في الفضاء. لنعد إلى سؤال البداية: هل الكون أزلي أم مخلوق؟ أحدث النظريات العلمية ترجّح أن الكون مخلوق وليس أزلياً، ظهر في لحظة الانفجار الكبير قبل ١٣.٨ مليار سنة. لكن هل الكون أبدي أم أن له لحظة نهاية؟ يرى ستيفن هوكينج أنه لا يوجد إجابةً علمية مؤكدة حتى الآن لسؤال النهاية. لكن إذا كان الكون سينتهي، فإن ذلك لن يكون قبل ٢٠ مليار سنة (الانسحاق الكبير أو يوم القيامة بالمصطلحات الدينية).

نظريات نشوء الكون: وضعت العديد من النظريات عن نشوء الكون وتطوره منذ آلاف السنين ولحد الآن وكما يلي:

أولاً: كون أرسطو:

في القرن الرابع قبل الميلاد، وضع أرسطو نظريته الشهيرة في تفسير بنية الكون، وهي النظرية التي ظلّت موضع احترامٍ وقبولٍ لما يقارب الألفي عام. تقوم هذه النظرية على أن الأرض ثابتة وتشغل مركز الكون ذي الأبعاد المحدودة، بينما تتحرك النجوم والكواكب في مداراتٍ دائرية منتظمة حولها، وقد رأى أرسطو أن الأشكال السماوية تامةً ودائريةً بطبيعتها، لأنها تمثل

كون ديناميكي متغير — يتمدد أو يتقلص — دون الحاجة إلى الثابت الكوني.

ثم جاء اكتشاف إدوين هابل لقانون الزحزحة الحمراء، الذي دلّ على أن المجرات تتباعد عن بعضها بعضاً، ليؤكد بشكل قاطع أن الكون في حالة تمدد مستمر، مما عزز نتائج فريدمان ودي سيتر، وقد اعترف أينشتاين لاحقاً بأن إضافته للثابت الكوني كانت "أكبر خطأ في حياته"، لتُعرف بعدها هذه الرؤية الكونية باسم نظرية الكون المتطور، وهي تقوم على مجموعة من الافتراضات الأساسية، من أبرزها:

١. أن الكون متذبذب بتأثير الجاذبية الثقالية التي تعيق التمدد.

٢. كون الخلق المستمر التي تنصُّ على أن الكون لا يملك لحظة بداية أو نهاية.

إن فرضية الكون المستمر بالتمدد لاقت قبولاً أكثر من غيرها لأن انخفاض الكثافة بالتمدد تجعل الجاذبية الثقالية غير قادرة على إعاقة التمدد.

المطلب الثاني: منهج القرآن في تقويم المفاهيم الكونية لدى الإنسان والرؤية القرآنية الجديدة لعناصر الكون

إنَّ التحول الفكري العظيم الذي شهده العالم في مطلع القرن السادس عشر، كانت بذرته الأولى قد

المشتري ثم اكتشاف العالم هالي المذنب المعروف باسمه واكتشاف هيرشل حركة الشمس وعندما وضع نيوتن قوانين الجاذبية الثقالية استند علم الفلك على أسس صحيحة.

٢: كون أينشتاين — دي سيتر:

حاول ألبرت أينشتاين تطبيق النظرية النسبية العامة على تفسير الجاذبية وبنية الكون، منطلقاً من فرضية مفادها أن الكون متجانس في مادته ومتماثل الخواص في جميع الاتجاهات، وقد فسّر أينشتاين الجاذبية على أنها ليست قوة بالمعنى التقليدي، بل هي انحناء في الزمكان تسببه الكتلة والطاقة، ووضع لذلك معادلات المجال التي تصف هذا الانحناء.

أظهرت حلول هذه المعادلات أن الكون لا يمكن أن يكون ساكناً، بل هو قابلٌ للانكماش تحت تأثير الجاذبية، وللتغلب على هذه النتيجة، أضاف أينشتاين حداً جديداً إلى معادلاته سُمي بالثابت الكوني، وهو يمثل قوة تنافرٍ كونية تهدف إلى موازنة تأثير الجاذبية وجعل الكون ثابتاً ومستقراً. غير أن العالمين دي سيتر (De Sitter) وفريدمان (Friedmann) توصّلا فيما بعد إلى حلولٍ غير ساكنة لمعادلات أينشتاين، وأثبتنا أن النظرية النسبية العامة في جوهرها تتوافق مع

يعدم الى تقديس تلك الكائنات. فلما نزل القرآن دعا إلى نبذ هذه الرؤية، فأحلَّ التوحيد محل الوثنية، ونزَّه المعبود عن كل ما يمكن أن تشاركه به الكائنات المادية، وغَيَّرَ رؤية الناس الى عناصر الطبيعة ونفى عنها صفة التقديس.

فالجديد الذي أتى به القرآن بشأن علاقة الإنسان بعناصر الكون هو عينه الذي دعت إليه الثورة الكوبرنيكية، ففي كلا الموقفين لم تُعدَّ الرؤية منطلقة من ذات الإنسان باعتباره مركزاً للكون anthropocentrisme بل من البحث عن حقائق الأشياء ذاتها.

وكما أن الثورة الكوبرنيكية اعتمدت في مقرراتها لواميس علمية ومعادلات رياضية قيَّدت بها مقادير الأشياء وضبطت بها خصائصها فإنَّ القرآن عرَّفَ الإنسان بعناصر الكون الذي يعيش فيه وضبط له الصفات المناسبة لطبيعتها موجهاً رؤيته بذلك الى ضرورة التعرف على حقيقتها، متجاوزاً ذلك الى الوظيفة المنطقية المُطلعة بها والتي تعلق وجودها: يعني الدلالة على التوحيد.

والمبادئ القرآنية التي ضبطت حقائق عناصر الكون تنحصر في اعتبار أنَّ هذه العناصر مخلوقات لله طيِّعة، مقدَّرة في كمياتها وكيفياتها، مسخَّرة فانية فناء

انقذت منذ القرن السابع الميلادي مع نزول القرآن الكريم، إذ جاء هذا الكتاب الإلهي ليعيد صياغة الفكر الإنساني من جذوره، ويصحِّح المفاهيم والرؤى التي سادت في المجتمعات البشرية آنذاك.

وقد تجلَّى ذلك أوَّل ما تجلَّى في المجتمع العربي الذي نزل القرآن بين أفرادهِ، إذ جاء ليقوم أوضاعهم الفكرية والعقائدية، ويحرر عقولهم من الخرافة والجمود، ويوجِّههم نحو التوحيد والعقل والوعي الكوني، فكان بذلك نقطة الانطلاق الأولى لمسار حضاريٍّ جديدٍ في تاريخ الإنسان. أتى القرآن برؤية جديدة للكون وعناصره، ودعا الى منهجية تقوُّد الفرد ذا الفطرة السليمة الى نتيجة حتمية مناسبة للرؤية التي دعا إليها. كانت عناصر الكون في المجتمع العربي خاضعةً الى مبادئ العقيدة المنتشرة بين أفرادهِ، يعني الوثنية. فقد حظي عدد من عناصر السماء والأرض بلقب الألوهية عند العرب كالشمس (محمود سليم الحوت ١٩٧٩م، ص ٩١) والقمر، والنجوم والماء والشجر واعتبروا أن لها سلطاناً عليهم فخافوها، ونحتوا لها الأصنام وقدّموا إليها القرابين لترضى عنهم. فكانت النتيجة أنهم وقفوا منها وقفة الخاضع المُتذللِّ إزاء الأمر المنصرف، وذلك هو موقف كل من بدائي التفكير يؤمن بالمذهب الحيوي l'animisme المبني على الاعتقاد بسرّيان الروح في الكائنات الطبيعية المُحيطة بالإنسان ولكي يتقي شره

تعالى: { أَوْلَمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ } الأعراف، الآية: ١٨٥. { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } الذاريات، الآية: ٢١. { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال، الآية: ٢٢.

ولذلك أمر الله تعالى بالتفكير في الأرض والسير فيها، " وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمّة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيراً من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائباً عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة. وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها

جميع المخلوقات. فأبطل بذلك خوف الإنسان منها وأبطل بالتالي تقديسه لها، وحوّل سيطرتها عليه الى سيطرة ينبغي أن تكون له عليها، وفتح باب البحث فيها على مصراعيه. والمصطلحات الواردة في تحديد طبيعة عناصر الأشياء في القرآن عديدة

الخلق

- مادة الخلق
- الخضوع
- التسخير
- التقدير
- التنظيم
- الغائية
- الفناء

يستنتج من هذه الصفات ضرورة أن عناصر الكون المخلوقة المقدرة، المسخرة، الغائية لا يصح مُطلقاً أن يقفَ منها الإنسان موقف عرب الجاهلية، إنَّما ينبغي اتخاذ هذه الصفات وسيلةً الى إدراك حقائق تلك العناصر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بالاعتماد على منهجية معينة ما أنفك القرآن يلفت انتباه الناس إليها عائداً باللائمة على كلِّ مَنْ أعرض عنها وهي الملاحظة الحسية المؤدية إلى الاستنتاج المنطقي السليم. يقول

الله تعالى.. ولا سبيل البتة عندهم للقول بقدم العالم أو حدوثه عن مادة قديمة، لأن ذلك يخالف أصلاً من أصول العقيدة وهو التوحيد.. فالقول بوجود قديمين يتناقض مع عقيدة التوحيد.

ويمكن استنباط ما ورد أعلاه من خلال الآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (فاطر، الآية: ٤١)

فالله تعالى هو القائم بأمر السموات والأرض، وقيمومته دائمة في كل آن ولا تقتصر قيمومته على الخلق بل على إدامة الخلق أيضاً.

ولقد عبر القرآن عن عملية خلق السموات والأرض في مواضع كثيرة، ولم يقدم تفصيلاً لهذه الكيفيات، بل أوردتها إجمالاً مشيراً بوضوح تام إلى كون السموات والأرض كانت جملة واحدة ثم انفصلتا، إذ يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء، الآية: ٣٠).

بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها، والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققاً محسوساً. (محمد الطاهر هـ: ج ٢٠، ٢٣٠)

وهكذا فإن القرآن أحل محل العقل المكبل باعتقاد النفع والضرر للحجارة والنباتات والأرواح، عقلاً تحرراً من سخافة الميثولوجيا وأساطيرها الى صدق عقيدة التوحيد و واقعيتها. وبهذا التوجيه القرآني أصبح العقل البشري بعد تصفيته من الخرافة جاهزاً لتقبل الحقائق بجميع أصنافها.

المطلب الثالث: الرؤية الإسلامية الجديدة لخلق الكون وتطوره ومصيره:

نود أن نبين الرؤية الإسلامية المنبثقة عن العقيدة التي يقرها القرآن الكريم.. هذه الرؤية هي ليست نظرية علمية تفصيلية، وإنما هي أسس عقائدية يمكن تلخيصها في ثلاثة بنود أساسية هي (هند شلبي، ١٩٨٥، ص ٣٤٣)

١. إن الكون مخلوق من عدم لم يسبقه زمان بل وجد الزمان معه: وقد عبر المتكلمون المسلمون عن هذه القضية بقولهم بمبدأ الحدوث.. التي تقر أن الكون وكل ما فيه من أشياء محدث أحدثه الله تعالى بإرادته وقدرته، وهو بما هو عليه قائم بأمر

شاملاً كلياً يخرج عنها يقوم بتنسيق العقول الذاتية الى المراد العام الشامل.. وهذا ما كان عندهم في أحسن الأحوال فقالوا بالعقل المطلق. وهذا هو مذهب أفلاطون وأرسطو وك فلاسفة العرب حتى يومنا هذا.

٢. توسع الكون: يقرر القرآن الكريم أن السماء في

حالة توسع إذ يقول تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا

بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}. (الذاريات، الآية: ٤٧).

والاتساع في اللغة ضد الضيق. وفعل موسعون فعل مستمر، ولم يبيّن القرآن تفاصيل الاتساع، وإنما أوردته مجملاً،

وللمفسرين في معنى التوسع أقوال منها: لموسعون السماء، أو لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء، أو لموسعون بخلق سماء ملثها. (أبو الحسن علي بن محمد: ج ٥، ص ٣٥٣).

لقد ناقش المفكرون المسلمين قضية توسع الكون(العالم في تعبيرهم) ونجد في كتاب تهافت التهافت مناظرة بين طروحات أبي حامد الغزالي الذي يتكلم بلسان المتكلمين، وردود الوليد بن رُشد، والذي يتكلم بلسان الفلاسفة، ويدافع عنهم. ولعل من دواعي الفخر أن نعلم بأنّ المتكلمين المسلمين كانوا في تلك العصور قد أدركوا ضرورة وجود إمكانية لتوسع الكون.

فمعنى كانتا رتقا أي ملتصقتين، كما يُشير القرآن إلى كيفية إجمالية لعملية تكوين المجرات، فقال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصلت، الآية: ١١).

ومعنى ذلك أنّ السماء كانت في زمن ما في حالة الدخان وهو غازات متجمعة. وهذه مرحلة حاصلة في خلق الكون على ما أوضحنا سابقاً. أما قوله تعالى: { ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا } (فصلت، الآية: ١١).

فالطوع هو: الانقياد، والكره: عكسه.. فمعنى ذلك أنّ السموات والأرض قد انقادت للأمر الإلهي ببُسر وسهولة مما جعل التصرف الظاهر فيها وكأنّه حاصل من ذاتها لا بتوجيه من خارجها أو عن غيرها... أي ظهر التصرف وكأنّه لطبع فيها، لذلك لك يكن غريباً على الفكر الإنساني المستقل عن الوحي أن يقول بأنّ الأشياء تتصرف لطبع فيها، وليس استجابةً لتوجيه خارجي.. وهذا هو مذهب أهل الطبيعة الذين لا يجدون ضرورةً لوجود إله يُصرفُ الأشياء، وهم واهمون بمذاهبهم هذا لأنّهم إذ اعتقدوا بالطبع الذاتي فإنّهم قد أثبتوا عقلاً ذاتياً في الأشياء الجامدة.. أو أنّهم يثبتون عقلاً

كانوا يمتلكون الرؤية الصحيحة والمنهج الصحيح لتحليل المدركات والمعقولات، فكانت أغلب توصلاتهم المعرفية صحيحة من حيث المبدأ، نقول هذا ولا ننسى أن نتذكر أن هذه الحوارات الراقية دارت خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) بينما كانت أوروبا في درك عصور الانحطاط والتخلف.. وأمريكا لم تكن مُكشَّفةً بعد.. وكل ذلك الرُّقي الفكريّ مردّه إلى التزام العلم العقلي مهتدياً بالوحي السَّماوي.

٣. مصير الكون: تُقرُّ الرؤية الإسلامية أن مصير الكون سيكون حتماً إلى الزوال.. وأن السماء ستطوى طياً، أي تنكمش على بعضها، إذ يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء: ١٠٤).

فالطي: هو" الإخفاء والتعمية والمحو، لأن الله تعالى يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها" (أبو عبد الله محمد بن أحمد ب- ١٩٦٤ م: ج ١١، ص ٣٤١) (وبغض النظر عن كل ما يدور من خلافات علمية معاصرة حول مصير الكون، فإنَّ الرؤية الإسلامية تُقرُّ أن الكون لا بدَّ أن ينهار، وفي هذه المسألة نلاحظ دقة التعبير القرآني

لقد طرح أبو حامد الغزالي هذا السؤال: "هل كان الله قادراً على أن يخلق العالم أكبر مما هو عليه؟ فإن أُجيب بالنفي، فهو تعجيز لله. وإن أُجيب بالإثبات ففيه اعتراف بوجود خلاء خارج العالم كان يمكن أن تقع فيه الزيادة لو اراد الله أن يزيد في حجم العالم عمّا هو عليه".

أما ابن رُشد الذي يلتزم موقف الفلاسفة اليونانيين، فإنّه يرى أنّ: " زيادة حجم العالم أو نقصه عمّا هو عليه مستحيل لأن هذا التجويز إذا قام لا مبرر لإيقافه عند حد، وإذن فيلزم تجويز زيادات لا نهاية لها". إذ يتضح أنّ المتكلمين المسلمين حين استندوا إلى أصول العقيدة الإسلامية المُستنبطة بشكلٍ صحيح من القرآن فإنَّهم توصلوا إلى فهم مسائل عويصة وبعيدة الغور في المعرفة العقلية لم يتيسر لغيرهم مثلها. فعلى الرغم من غرابة هذه المسألة على عصرهم إذ ننظر نحن الآن إليها، وإذ نعلم أن موضوعه توسّع الكون هي مسألة مستحدثة في الاستنباط العلمي، في هذا القرن العشرين الميلادي.

إذن فإنَّ الرؤية الإسلامية تجوز توسع الكون نصّاً من القرآن وعقلاً من استنباطات المتكلمين، وكان ذلك عصر مبكر جدلاً دون أن تتوفر لديهم أية معارف تفصيلية عن فيزياء الكون والقوى العاملة فيه. إلا أنَّهم

في قوله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} .. ذلك أن انكماش الكون يؤول به إلى النقطة التي انطلق منها.. وهذا الأمر هو كذلك أيضاً في رؤية القائلين بانكماش الكون من علماء الكونيات المعاصرين..

الخلاصة:

تبيّن لنا من خلال هذا من الرؤية الإسلامية لمسائل خلق الكون وتطوره ومصيره تتفق مع العلم الاستنباطي المعاصر في مسألتين، وتختلف معه في واحدة (هي غير محسومة أصلاً). فالاتفاق حاصل صراحةً في مسألة الحدوث.. ومسألة الاتساع، إلا أن الاختلاف هو في مسألة المصير، إذ لم يقل العلم حكمه النهائي فيها، فإن كان الترجيح هو استمرار الاتساع إلى ما لا نهاية له، فهذا مما لا تقره الرؤية الإسلامية، وإن كان العلم سيتوصل إلى حسم المسألة بإجاد الدلة القطعية على توقف التوسع الكوني يوماً ما، ثم انهيار الكون على بعضه، فإنه سيكون متوافقاً مع الرؤية الإسلامية، ونحن نقرر صحة الرؤية الإسلامية في هذه المسألة أيّاً كانت توصلات العلم العاجلة أو الآجلة، مع ثقنتنا الأكيدة أن العلم هو الآخر سيتوصل إلى هذه النتيجة حالما يستبصر طريقه الصحيح فيها.

المطلب الرابع: خلق الكون بين النصوص الشرعية والحقائق العلمية

أولاً: مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض

فيما يلي ألفاظ الحديث الصحيح الذي يرويّه عبدالله بن عمرو (صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٤٧٩٧).
(كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ فِي رَايَةٍ : مَثَلُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَذْكَرَا : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) وقد وضح الحديث الشريف حالة مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض.

وقد أورد العسقلاني في فتح الباري (ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ج ٦، ص ٣٥٥) قوله: "ووقع في الرواية التي في التوحيد (ثم خلق السماوات والأرض) ولم يقع بلفظ "نم" إلا في ذكر خلق السماوات والأرض. أشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض (الشيرازي: ١٩٩٦ ص ٢٢١)، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء

ثانياً: الأرضون السبع يقول سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ

القيامة) ما أكدته الأحاديث السابقة من أن حال الأرضين يوم القيامة هو القبض والطي، والمراد بالأرض الأرضون السبع) أحمد، الأحاديث رقم : 3409، 3878، 4138. (وأن حالة القبض هذه لا تحصل إلا يوم القيامة) لرّازي، 1993، ص 17-18. (أما حالهنّ في الدنيا ففتق وبسط (حالة فتق الأرضين تبيّنهما مجموعة الأشكال) بعد أن كانتا رتقاً عند بداية الخلق: { أَوْلَمَ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } . (سورة الأنبياء، الآية : 30).

هناك أحاديث تحدّد عدد الأرضين بسبع، ومن هذه الأحاديث:

- روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه حُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) (صحيح البخاري، حديث رقم 1120).

- " من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين "

اللَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } (سورة الطلاق، الآية: ١٢). قرأ الجمهور: (مثلهنّ) بالنّصب عطفاً على (سبع سموات) أو على تقدير فعل، أي: وخلق من الأرض مثلهنّ (إيجاز حذف: أي وخلق سبعاً من الأرض) (الشوكاني، (بلا تاريخ)، ص 274). وأورد القرطبي في تفسيره الجامع (القرطبي، 1996، ص 115..): " (ومن الأرض مثلهنّ) يعني سبعاً."

- عن عبيدالله بن مقسم عن عبدالله بن عمر قال رأيت رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على المنبر وهو يقول: يأخذُ الجبارُ عزَّ وجلَّ سمواته وأرضيه بيديه ثمّ ذكر نحو حديث يعقوب (صحيح مسلم)

- وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال يا محمدُ إنّنا نجدُ أنّ الله يجعلُ السّموات على إصبعٍ والأرضين على إصبعٍ والشّجر على إصبعٍ والماءُ والثّرى على إصبعٍ وسائر الخلق على إصبعٍ فيقول أنا الملكُ فضحك النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثمّ قرأ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (وما قدروا الله حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة والسّموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون) (الآية الكريمة (والأرضُ جميعاً قبضته يوم

كثيرة هي الأسئلة التي يثيرها أولئك المشككون حول مصداقية القرآن، فهم يتساءلون تارةً: هل هناك فعلاً (سماء) في ميزان العلم الحديث؟ وتارةً أخرى ينكرون وجود أي سماء ويعتبرون الحديث القرآني عن السماء أنه خرافة لا أساس لها!

ما هو الفرق بين الكون والسماء؟ لقد تأملت جيداً ما يكشفه العلماء من حقائق كونية يقينية، وتأملت بالمقابل ما جاء في كتاب الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً، فوجدتُ التطابق الكامل دون أن نحمل النص القرآني غير ما يتحمل من المعاني والتفاسير.

إن الكون المرئي كما يعرفه العلماء يشمل كل ما نراه من أقرب ذرة أكثر مما توفره لنا العدسات المكبرة والأجهزة الرقمية المتوافرة لدينا. ولكن القرآن الكريم وفرّ لنا الرؤيا الواسعة والتي لا يتطرق إليها النقص أو الخلل أو العيب. كما إن القرآن الكريم دقيق في تعابيره، فهو لم يطلق لفظ الكون دون تحديد، بل هنالك لفظ (السماء) ولفظ (النجوم) ولفظ (البروج) ولفظ (الأرض)... وغير ذلك من الألفاظ المحددة، على عكس العلم الحديث الذي يطلق مصطلح "الكون" وهو مصطلح غير دقيق علمياً، لأننا لا نعرف بالتحديد ما تعنيه هذه الكلمة، هل تعني (كل شيء) إذا كان كذلك فهذا تعبير واسع وغير محدد.

– " لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة " (الإستراياذي، ١٩٩٨، ص ٣٧٥-٣٧٦..)

يتّضح من هذه النصوص ذكرُ الأرضين وهي المقصودة في الحكم العام، والعدد كالوصف لها. أي أنّ عاقبة ظلم الأرض _ أخذها بغير وجه حقّ _ الخسف بمرتكبه يوم القيامة إلى الأرضين التي هي سبع.

ثالثاً: مبدأ الكون كما يتصور علماء الكون والفلك

يرى علماء الكون صحّة أنموذج الكون المتوسّع؛ فقد خلق الله الكونَ واسعاً ومتوسّعاً وهذا يتفق مع الآية الكريمة: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (سورة الذاريات، الآية: ٤٧). يقول علماء التفسير إنّ الله عزّ وجلّ قد خلق السّماء واسعة كما ويقولون أنّ السّماء آخذة بالتّوسّع

لقد كانت السّماء واسعة عندما خلقها الله عزّ وجلّ ابتداءً؛ فلقد كان الكون يتوسّع بتسارع كبير وإنّ التوسّع في بناء السّماء دائم ومستمر حتى فناء الكون يوم القيامة.

المطلب الخامس: حقائق تثبت أن القرآن لا يناقض العلم في خلق السموات والأرض، ورد شبهات المشككين

توجد أدلة دامغة اليوم على أن الأرض تشكلت من الدخان الكوني، وقد كان الدخان منتشراً في كل مكان أثناء تشكل الأرض وبعد تشكلها للملايين السنين، أي أنه في اللحظة التي تشكلت فيها الأرض كان موجوداً، وفي كتاب الله تبارك وتعالى إشارة رائعة إلى هذا الأمر عندما قال: { قُلْ أُنْتُكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } ٩ { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ } ١٠ { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } ١١ { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } ١٢ { فصلت، الآيات: ٩-١٢. }

طلما كان هذا النص الكريم مدخلاً للمُشككين ليوهموها ضعفاء العقول والقلوب بأن القرآن متناقض! فكيف يؤكد القرآن أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام (

<http://www.kaheel7.com/ar/index.p>

hp) ثم يأتي في هذا النص ليؤكد أن الأرض خلقت في يومين، ثم تم إكمال خلقها في أربعة أيام، ثم خلقت السماء في يومين، فيصبح المجموع

وإذا كانت كلمة "الكون" تعني المجرات والكواكب أي كل شيء نراه، فماذا عن الأشياء التي لا نراها؟

إن القرآن يحدد لنا كل مادة في هذا الكون، فهناك نجوم، وهناك أرض وشمس وقمر... وهناك سماء! إن الذي يتأمل آيات الله تعالى يستنبط بسهولة أن السماء الدنيا تبدأ من الغلاف الجوي المحيط بنا، وتمتد لآخر مجرة تم رصدها حتى الآن وهذا يعني أن الكون الذي يتحدث العلماء عنه هو "السماء الدنيا+ الأرض"، إذاً السماء تحيط بالأرض من جميع جوانبها وتمتد إلى آخر مجرة يمكن رؤيتها، لأن الله تعالى زين السماء الدنيا (أي السماء الأولى) والأقرب إلينا، زينها بالنجوم والمجرات

وهنا ربما نجد تفسيراً لمعنى قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } فصلت، الآية: ١١. ففي هذه الآية يحدثنا الله تبارك وتعالى عن قول السماء والأرض (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ربما تكون هذه الترددات الصوتية التي أصدرها الكون في بداية خلقه، هي امتثال وطاعة لأمر الله لأن الله تبارك وتعالى يقول: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } الإسراء، الآية: ٤٤.



بخلق السموات، بل هي عملية منفصلة و متممة وتمت بعد خلق السموات و سماها القرآن بعملية التسوية، لأن الله قال: { فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ } لم يقل (فخلقهن)، وهذا دليل على أن السماء موجودة أصلاً ومنذ البداية، و خلقت مع الأرض ولكنها لم تأخذ شكلها النهائي لأنها كانت دخاناً وهذا ما يؤكد العلماء اليوم.

إن الله خلق الأرض وهياها بشكل كامل في ستة أيام، وخلال هذه الأيام الستة خلق السماء أيضاً لأن خلق السماء والأرض جاء متناسقاً لأن الأرض خلقت من الدخان الكوني الذي كان يشكل مادة السماء في بداية الخلق، وهذا ما يقوله العلماء اليوم.

حاول المشككون إثارة الشبهات حول هذه الآيات، فقالوا: "إن هذه الآيات تدل على أن الأرض خلقت قبل السماء، فهل يمكن ان نصدق ذلك في ضوء العلم الحديث؟ إذا القرآن يناقض العلم الحديث! إذا هو كتاب من عند غير الله لأن الله لا يخطئ!!

إن هؤلاء لم يقرأوا الآية جيداً لأن الله تعالى عندما قال: { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } إن هذه الآية تدل على أن السماء كانت موجودة قبل أن يستوي إليها ولكنها في معظمها دخاناً، ثم يقول بعد ذلك: { فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا } إذا الخطاب للسماء والأرض، وبالتالي أثناء هذا الخطاب

ثمانية (٢+٤+٢=٨)!! ويظن الملحد أنه أخرج لنا تناقضاً علمياً في القرآن: يكفي أن نجد خطأً علمياً في القرآن، ويقول: يكفي أن نجد خطأً علمياً واحداً لنثبت أن القرآن محرّف، هكذا يقولون!

ولكن لتأمل بدقة هذا النص الكريم في ضوء الحقائق العلمية اليوم:

١. خلق الله تعالى الأرض في يومين(خلق الأرض في يومين) أي أن الأرض لم تكن موجودة فأوجدها الله تعالى في يومين ولكنها غير صالحة للحياة، فقدّر فيها أقواتها وخلق عليها الجبال وغير ذلك بشكل يجعلها صالحة للحياة، وذلك في أربعة أيام(وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام) فيكون المجموع ستة أيام.

٢. في هذه الأيام الستة كانت السماء موجودة وممتلئة بالدخان، والدليل على أنها وجوده قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فالسماء إذا مخلوقة وموجودة مع الأرض، وهذا ما يقرره العلم الحديث (المصدر نفسه)

ثم بعد ذلك جعل هذه السماء الواحدة سبع طبقات بعضها فوق بعض، وهذه العملية لا علاقة لها

نترك كل ذلك للفوضى والصدفة؟ وعلى حد ما قال شوقي أمير الشعراء: ((الطبيعة من طبعها؟)) وهل من جواب عند العقل السليم إلا القول: إن وراء هذه القوانين الدقيقة الصارمة علة أولية ذات قصد وغاية وعلم وقدرة ينتهي إليها كل شيء، ولا تنتهي هي إلى شيء، بل لا يُعقل بحال أن يكون غيرها علة لها وألا لما وجد شيء على الإطلاق. (ندى ساجد، ٢٠٢٣، ١٥٨)

ولمجرد التوضيح نضرب مثلاً بالساعة وصانعها.. أنه نظّم آلتها وربط بعضها ببعض على شكل هندسي معين بحيث تعمل بمجموعها تلقائياً لتدل على الدقيقة والساعة، بل واليوم والشهر تماماً كما أراد الصانع المنظم.. وهكذا الكون: كوكبه وأشياؤه كآلات الساعة، وترتيب كل شيء وكوكب في فلكه (المصدر نفسه، ص ٤٠).

المطلب السادس: الحكمة في خلق الكون

حيث إنَّ العلم مخلوقٌ لله الذي هو الحقُّ المطلق، فإنَّ خالقه كذلك حقٌّ ويتَّسم بالحكمة، فلا مجال للعبثية واللاهدفية فيه. قال تعالى: { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } الأحقاف، الآية: ٣. على أن غاية هذا العلم والإنسان إنما تتحقق عندما تقوم القيامة، كما قال الإمام أمير المؤمنين

كانت الأرض موجودة وكانت السماء موجودة، ولا يعني ذلك أن الأرض خلقت قبل السماء، ولكن هذا ما فهمه المفسرون حسب علوم عصرهم، أما نحن اليوم فلننا ملزمين أن نفهم الآية كما فهمها المفسرون قبل ألف سنة مثلاً، لأنه لو توافرت لديهم العلوم لفهموها كما نفهمها اليوم (المصدر نفسه)

شبهات الملحدون

يرى الملحدون أن البدائيين كانوا يعللون ما يحدث في الكون بقوة تكمن وراءه، وخارجة عنه، ومع مرور الأيام اكتشف علماء الطبيعة أن في الكون نفسه قوانين ثابتة و صارمة لا تتغير ولا تتبدل، وبها وحدها ترتبط حركات الأفلاك وكل ظاهرة طبيعية من أكبر كبيرة إلى أصغر صغيرة، ومن هذه القوانين الجاذبية، وحركة الذرة وأغلفتها الإلكترونية وغير ذلك، وإذن فلا شيء وراء الطبيعة يدعو إلى الإيمان به (محمد جواد مغنية: ص ٣٩).

واعتماداً على العقل ومنطقه نسال: إذا فسرنا حركات الكون وحوادثه وضروب نشاطاته، إذا فسرنا كل ذلك بالقوانين الموجودة في الكون نفسه — فبأي شيء نفسر هذه القوانين الموجودة في نفس الكون؟ ومن الذي أودعها فيه لتحفظ عليه نظامه ووحدته، وتكون سبباً مباشراً لأشياءه وأحداثه؟ وهل يسوغ في منطق العقل أن

الإنسان، ومع ذلك سخر الله سبحانه للإنسان هذا الكون تسخير علم ومعرفة وفائدة، وليس تسخير طاعة فالطاعة لله وحده (حيدر لؤي، ٢٠٢٤، ١٥١)

يقول تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ} (سورة لقمان: ٢٠).

وهنا تكمن عظمة الإنسان وعظيم خلقه (هدى سليم، ٢٠١٨، ١٣٣) نعيش في هذا الجرم الصغير ويسخر الله سبحانه لنا كل هذه الأفلاك والمجرات العظيمة في حجمها وفي اتساعها وفي عددها! هنا لا بد لنا أن نقف طويلاً أمام هذه الآية الكريمة يقول تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (سورة الجاثية: ١٣).

ومعنى تسخيره لنا: هو أنه هيأها لانتفاعنا بها، فهو مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به على الوجه الذي نريد". (أبو الحسن علي بن أحمد، ٤٣١)

فكما أن الله سبحانه أكرمنا هذا الإكرام العظيم.. علينا أن نكون محل ثقة الله بنا، ومحل تكريم الله لنا، ولا نفتأ أبداً في النظر إلى تلك السماوات والتفكر فيها، وبمعظم خلقها، فنقدر الله حق قدره،

علي (عليه السلام): "فإن الغاية القيامة" (نهج البلاغة، خ، ص ١٩٠)

فالله سبحانه موجود في هذا الكون والذي يفكر في هذا الكون البديع المتقن يجد ربه، وإبراهيم (عليه السلام) وجد ربه في هذا الكون بعد أن بحث عنه في فكره، وكان رسول الله (ﷺ) قبل الوحي وفي غار حراء بجبل ثور يخلو الليالي الطوال يجول في نظره في كون الله العظيم، ويتفكر ويتدبر في رب هذا الكون وهذه السماء وهذه الأرض، فتفكيره (ﷺ) في عظمة هذا الكون وعظمة هذه السماء وجمال نجومها وأبراجها وبديع صنعها، قد اوصله إلى الله الخالق المبدع قبل أن يوحى إليه.. فتفكر سيدنا محمد (ﷺ) أوصله إلى الله سبحانه وتعالى، والوحي قرّبه من الله سبحانه عن كذب وثبته في إيمانه.

ولا يعني هذا أن الأمر موقوف على الرسل، فكثيرون في التاريخ أوصلهم تفكيرهم إلى الله سبحانه، من خلال العقل الذي خلقه الله بفطرته مؤمناً.

الكون مخلوق قبل خلق الإنسان بكثير، فعمر الكون كما قال العلماء أو كما أقرت النظريات ثبوتاً، ثلاثة عشر ونصف مليار سنة (١٣.٥)، وعمر الإنسان على هذه الأرض، لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين، فالفرق الزمني واسع بين الخلقين، خلق الكون، وخلق

أنواع التأثير والتأثر مظهرٌ من مشيئة الله وإرادته الكلية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين المطلبين. قال تعالى: { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ } البقرة، الآية: ٢٢. وقال: { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ } الأعراف، الآية: ٥٨.

3. نظام الكون الحالي ليس أبدياً:

النظام الحالي للكون ليس خالداً ولا أبدياً، بل سينهدم ويندثر بعد زمان يعلمه الله وحده على وجه التحديد، ويقوم مكانه نظامٌ آخر هو العالم الأخروي وما يُسمى بالمعاد، قال تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم، الآية: ٤٨.

٤. الكون مخلوق لله (سبحانه):

ومعنى ذلك أن الكون خُلِقَ بإرادة الله ومشيئته، وأن نسبته إلى الله ليس من نمط نسبة الولد إلى الوالد، قال سبحانه: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } { ٣ } وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } { ٤ } الاخلاص، الآية: ٣-٤.

٥. الكون نظام كامل:

إن نظام الخليقة هو النظام الأكمل والأحسن. قال تعالى: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } الانعام، الآية: ١١٦. والدليل العقلي يدعمه، ذلك لأن فعل أي فاعل يتناسب مع ما عليه الفاعل من حيث الصفات

ونعبدُه حقَّ عبادته، ونوحدهُ حق التوحيد، ونُعظمُه حقَّ التعظيم.

النتائج

١. الوجود ليس مساوفاً للطبيعة المادية:

الوجود ليس مساوفاً للطبيعة المادية، ولا ينحصرُ فيها، بل يشمل عِام الغيب. كما أن الظواهر المادية يؤثر بعضها ببعض بإذن الله، كذلك تؤثر الموجودات الغيبية في عالم الطبيعة بالإذن الإلهي. ويتحدث القرآن عن تأثير ملائكة الله وتسببها لحوادث العالم الطبيعي إذ يقول: { فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا } النازعات، الآية: ٥.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } الانعام، الآية: ٦١. إذن عالم الخلق بقسميه: الطبيعية وما وراءها مع النظام السببي قائم برمته بمشيئة الله سبحانه.

٢. العلة والمعلول:

النظام الكوني الرّاهن قائم على أساس العلة والمعلول، وتأثير كل ظاهرة في ظاهرة أخرى متوقف على مشيئة الله، ومن الواضح أن الاعتقاد بتأثير الظواهر بعضها في بعض، لا يعني الاعتقاد بخالقيتها قط، بل المقصود أن تلك الأسباب والعلل توفّر، بإذن الله ومشيئته، أرضية تحقق ظواهر أخرى، وأي نوع من

فالمؤمن بكتاب الله تعالى هو الذي يتدبر آياته، ويتفكر في خلق السماوات والأرض، ويدرس آيات الإعجاز الكوني والأرضي والإنساني.

التوصيات :

- ١- التوجه بتدريس مفهوم الخلق والتدبر به في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الأجيال.
- ٢- الاهتمام بتشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين النصوص القرآنية والاكتشافات الكونية الحديثة بروح علمية منضبطة بالضوابط الشرعية .

- ٣- توظيف الرؤية الإسلامية في مناهج العلوم الطبيعية والفلسفية لإظهار التكامل بين العلم والإيمان.

المصادر:

القرآن الكريم.

١. ابن حجر(ت: ٥٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط٢
٢. ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب ، ت ٥٤٦ هـ ، المحرر الوجيز في تفسير

والكلمات فإذا كان الفاعل منزهاً عن أي نقص من حيث الصفات الوجودية، كان فعله كذلك عارياً من أي نوع من أنواع النقص والعيب.

ولا يحتاج القرآن الكريم منّا إلا قراءته وتدبر آياته بروية وفكر وتأن وإعمال الفكر والعقل.. فالقرآن الكريم على حالاتٍ ثلاثٍ مع البشرية

١. قسم مؤمن: يقرأه ويتدبر معانيه، ويعمل به، ويدرس كل آية بل كل كلمة فيه، وهو لهم هدىً ورحمةً وبُشرى، وفي هؤلاء يقول تعالى: { قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً } (سورة فصلت: ٤٤).

٢. قسم مؤمن به ولكن لا يتدبر معانيه: ولا يعمل به ولا يجهد نفسه بدراسته، وفي هؤلاء يقول تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (سورة محمد: ٢٤).

٣. قسم غير مؤمن به ولا يدري عنه شيئاً: ولا يريد أن يدري عنه شيئاً وهؤلاء هم أكثر أهل الأرض، يقول تعالى: { وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } (سورة الانعام: ١١٦). وفي هؤلاء يقول تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } (سورة فصلت: ٤٤).

٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٨. أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الخامسة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، واحد وعشرون مجلداً .
٩. أحمد بن حنبل (ت: ٥٢٤١هـ)، المسند، دار صادر، بيروت-لبنان.
١٠. الإمام ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٥٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، (٥١٤٠٣-١٩٨٣م).
١١. البخاري، صحيح البخاري مطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م،
١٢. البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر،
- الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م).
٣. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٤. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٥. أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٦. أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف ٦٥٤-٧٥٤ هـ، دار الفكر (بيروت-لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، تسعة أجزاء، م ٣ .

- بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، خمسة أجزاء ، ج ٣.
١٣. حسين يوسف راشد، الارضون السبع لغز المادة المظلمة، العمري، مجلة كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العدد السادس(٢٠٠٤).
١٤. حيدر لؤي جبار ، الانسان قبل النشأة والوجود، مجلة الفلسفة، كلية الاداب الجامعة المستنصرية، العدد ٢٩-أ، حزيران، ٢٠٢٤، <https://fmm.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/jphil/article/view/28/30>
١٥. خلق السموات والأرض: حقائق تثبت أن القرآن لا يناقض العلم، موسوعة علمية شاملة لبحاث الإعجاز العلمي.
١٦. خلق السموات والارض حقائق تثبت ان القرآن لا يناقض العلم، موسوعة علمية شاملة لأبحاث الإعجاز العلمي:
١٧. رضي الدين الإستراباذي، ت ٦٨٦ هـ ، شرح كافية ابن الحاجب ، تحقيق: أميل يعقوب، ج ١ ، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٩٨ ، ٣.
١٨. الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ)، عالم الكتب (بلا تاريخ) ، ٥ أجزاء، ج ٥.
١٩. ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة، في السماء الدنيا والسموات السبع.
٢٠. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ
٢١. محمد جار الله الصعدي، النوافح العطرة.
٢٢. محمد عبده ، نهج البلاغة، دار المعرفة ، بيروت، لبنان
٢٣. محمد فخر الدين (ت ٦٠٤ هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرّازي، الرّازي، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٤. محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط٢، ١٩٧٩م، بيروت.
٢٥. مركز السراج للتأليف والتحقيق والترجمة، دروس العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت.
٢٦. مسلم النيسابوري(ت٥٢٦١)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت-لبنان

04/838-2013-01-19-00-28-

42..

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-20-06-04/838-2013-01-19-00-28-42..>

Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed. 1994, p 496..

Sources:

The Holy Quran.

1- AH), Fath al-Bari, ٨٥٢ Ibn Hajar (d. Commentary on Sahih al-Bukhari, Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing, nd edition^٢ Beirut, Lebanon,

Ibn Atiyyah al-Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib, d. 2- AH, Al-Muharrar al-Wajiz fi ٥٤٦ Tafsir al-Kitab al-Aziz, Dar al-Kutub al-١٤١٣Ilmiyyah (Beirut, Lebanon, (CE ١٩٩٣AH/

Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-AH), Al- ٤٦٨Nisaburi al-Shafi'i (d.

٢٧. ندى ساجد حميد، ظاهرة الالحاد دراسة في ضوء

روايات أهل البيت (عليهم السلام)، مجلة

المستنصرية للعلوم الانسانية، المؤتمر العلمي

السادس والعشرون للعلوم الانسانية والتربوية كلية

التربية، ٣-٤ ايار ٢٠٢٣.

<https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/article/view/149>

٢٨. هدى سليم رسول، الجنين ومراحله في ضوء

القرآن الكريم، مجلة كلية التربية الاساسية،

المجلد ٢٤- العدد ١٠٠، ٢٠١٨

<https://cbej.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/cbej/article/view/563/6206>

٢٩. هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين

النظرية والتطبيق، تونس(٥١٤٠٦-١٩٨٥م).

٣٠. Fairal, Anthony, Large scale

structure in the universe,

Wiley-Praxisseries In. Britain,

1998, p 105-106..

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-20-06-06-04/838-2013-01-19-00-28-42..>

ex.php/2010-02-02-20-06-

١٣٨٤ Misriyyah - Cairo, second edition,
CE ١٩٦٤ AH

Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad
8- AH, Al-Jami' li- ٦٧١ al-Qurtubi, d.
Ahkam al-Qur'an, Dar al-Kutub al-
'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, fifth edition,
CE, twenty-one ١٩٩٦ AH/ ١٤١٧
.volumes

AH), Al- ٢٤١ Ahmad ibn Hanbal (d.
٩. Musnad, Dar Sader, Beirut, Lebanon

Imam Abu Isa Muhammad ibn Isa al-
10 AH), Sunan al- ٢٧٩ Tirmidhi (d.
Tirmidhi, edited by Abd al-Wahhab Abd
al-Latif, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon,
.CE ١٩٨٣ AH/ ١٤٠٣ second edition,

11- Al-Bukhari, Sahih al-Bukhari,
printed with Fath al-Bari Sharh Sahih al-
٢٠٦ Bukhari, Muhammad ibn Ismail, d.
AH, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut,
.CE ١٩٩٧ AH/ ١٤١٨ Lebanon,

AH), Anwar al- ٧٩١ Al-Baydawi (d.
Tanzil wa Asrar al-Ta'wil, Dar al-Fikr,
CE, five ١٩٩٦ 12 AH. ١٤١٦ Beirut,
.٣ parts, Vol.

13 Hussein Yousef Rashid, The Seven
Earths: The Mystery of Dark Matter, Al-
Omari, Journal of the College of
٦ Knowledge University, Anbar, Issue
(٢٠٠٤).

Tafsir al-Basit, edited by: The original
) doctoral ١٠ edition was based on ()
dissertations at Imam Muhammad ibn
Saud University. A scholarly committee
from the university then edited and
formatted it. Publisher: Deanship of
Scientific Research - Imam Muhammad
st edition, ١ ibn Saud Islamic University,
.AH ١٤٣٠

4- Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad ibn
Muhammad ibn Habib al-Basri al-
٤٥٠ Baghdadi, known as al-Mawardi (d.
AH), Al-Nukat wa al-Uyun, edited by
Sayyid Ibn Abd al-Maqsud ibn Abd al-
Rahim, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya - Beirut,
Lebanon

5- AH), ٣١٠ Abu Ja'far al-Tabari (d.
Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, edited
by Ahmad Muhammad Shakir,
١٤٢٠ Mu'assasat al-Risalah, first edition,
CE ٢٠٠٠ AH -

6- Abu Hayyan al-Andalusi al-Gharnati,
Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir,
AH), ٧٥٤-٦٥٤ Muhammad ibn Yusuf ()
AH - ١٤١٢ Dar al-Fikr (Beirut, Lebanon,
.٣ CE), nine volumes, vol. ١٩٩٢

7- Abu Abd Allah Muhammad ibn
Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari
al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d.
AH), Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, ٦٧١
edited by Ahmad al-Barduni and
Ibrahim Atfayish, Dar al-Kutub al-

20 Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tahir ibn 'Ashur al-Tunisi (d. AH), Al-Tahrir wa al-Tanwir, ١٩٨٤ Tunisian Publishing House, Tunis,

Muhammad Jar Allah al-Sa'di, Al-Nawafih al-'Atirah ٢١ .

Muhammad 'Abduh, Nahj al-Balaghah, ٢٢ .Dar al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon

23 ٦٠٤ Muhammad Fakhr al-Din (d. AH), Al-Tafsir al-Kabir wa Mafatih al-Ghayb al-Mashhur bi Tafsir al-Fakhr al-Razi, al-Razi, Dar al-Fikr, Beirut, ١٤١٤ AH. CE ١٩٩٣ .

Mahmoud Salim Al-Hout, On the Path of Mythology Among the Arabs,.. CE, Beirut

25 Al-Siraj Center for Authorship, Research, and Translation, Lessons in Islamic Creed in Light of the School of Ahl al-Bayt

AH), Sahih Muslim Al-Nisaburi (d. Muslim, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon ٢٦

27- Nada Sajid Hamid, The Phenomenon of Atheism: A Study in Light of the Narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them), Al-Mustansiriya th ٢٦ Journal of Human Sciences,

14 Haider Luay Jabbar, Man Before Origin and Existence, Journal of Philosophy, College of Arts, Al-A, Mustansiriya University, Issue ٢٠٢٤ June

<https://fmm.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/jphil/article/view/٢٨٧٣٠>

15- The Creation of the Heavens and the Earth: Facts Proving that the Qur'an Does Not Contradict Science, A Comprehensive Scientific Encyclopedia of Scientific Miracles Research

16 The Creation of the Heavens and the Earth: Facts Proving that the Qur'an Does Not Contradict Science, A Comprehensive Scientific Encyclopedia of Scientific Miracles Research

17 ٦٨٦ Radi al-Din al-Astarabadi, d. AH, Commentary on Ibn al-Hajib's Kafiya, edited by Amil Ya'qub, Vol. ٣, ١٩٩٨ Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut

18 Al-Shawkani, Fath al-Qadir al-Jami' bayna Fannay al-Riwayah wa al-Dirayah min 'Ilm al-Tafsir, Muhammad ibn 'Ali AH), 'Alam al- ١٢٠٠ ibn Muhammad (d. ٠ volumes, vol. ٠ Kutub (n.d.),

19 Maher Ahmad al-Sufi, Al-Mawsu'ah al-Kawniyyah al-Kubra, Ayat Allah fi Khalq al-Kawn wa Nash'at al-Hayat, fi al-Sama' al-Dunya wa al-Samawat al-'Sab



Scientific Conference for Human and Educational Sciences, College of Education, May ٢٠٢٣, ٤-٣
<https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/article/view/١٤٩>

28- Huda Salim Rasoul, The Embryo and Its Stages in Light of the Holy Qur'an, Journal of the College of Basic Education, Vol. ٢٠١٨, ١٠٠, No. ٢٤
<https://cbej.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/cbej/article/view/٥٦٥٣/٦٢٠٦x>

29 Hind Shalabi, The Scientific Interpretation of the Holy Qur'an: Between Theory and Application, (CE ١٩٨٥AH - ١٤٠٦ Tunisia (

30 Fairal, Anthony, Large-scale structure in the universe, Wiley-Praxisseries, In. Britain, , pp. ١٠٦-١٠٥

<http://www.kaheel.com/ar/index.php/٠٦-٢٠-٠٢-٠٢-٠١٠>
<http://www.kaheel.com/ar/index.php/٠٦-٢٠-٠٢-٠٢-٠١٠>
<http://www.kaheel.com/ar/index.php/٠٦-٢٠-٠٢-٠٢-٠١٠>
 .. ٤٢-٢٨-٠٠

32 Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, ..٤٩٦, p. ١٩٩٤New York, seventh ed.

